

تعتمد على استغلال العامل الرخيص ، كما هو الحال بالنسبة لاستغلال عمل السود في الولايات المتحدة» (٢). لقد كان هذا هو الوضع في المستوطنات ، ولم يأخذ المستوطنون بنوصية ورغبة البارون في اقتصر العمل على اليد العاملة اليهودية « لانكم بذلك ينقذ الواحد منكم الاخر وتذكروا بأنكم كنتم فقراء ، لا تتركوا اخوانكم ولا تعطوا الآخرين فقط» (٣). بيد ان ذلك لم يثمر ، وفضل المستوطنون العمال العرب على العمال اليهود مما دفع القادرين من هؤلاء العمال الى التحول الى مزارعين ملاك ، اما القلة المتبقية فقد بقيت تعمل داخل المستوطنات . لم يكن مزارعو المستوطنات مجرد فلاحين بسطاء ، بل كانوا بمثابة طبقة برجوازية ريفية تعتمد بالاساس على جهد وعمل العمال العرب ، ويعود ذلك الى طبيعة المستوطن ، فهو ابن المدينة ، وابن الطبقة البرجوازية الصغيرة ، ولذا فقد تحكمت فيه نفسية التاجر ، وروح البرجوازية الصغيرة ، التي تعتاش بآثارها للامور دون انتاجها ، هذا علاوة على ان المستوطن اليهودي لم يسبق له ان اشتغل بفلاحة الارض منذ زمن طويل ، وقد مس يوسف اهارونفتس نفسية المستوطن التي تسيطر عليها روح التجارة بدل الفلاحة بقوله « ان ابن شعب كان خلال ألفي عام مدينيا وابن منفاه الطويل لم يكن خلاقا ، بل استخدم كوسيط للاخرين الذين انتجوا ، ابن شعب كهذا لا يمكن له ان يتحول فجأة الى قروي يعيش حياة الفلاح . ان « معاناة التركة » التي خلقتها مئات الاجيال لا تزول بسرعة ، ان شعبا كهذا يمكن ان يتحول من تاجر اقمشة الى تاجر كرمة ، او برتقال ، باستطاعته ان يهجر المدينة وان يخلق له حياة مدينية في القرية ، بيد انه لا يتمكن تماما من نسيان المدينة ونظام حياتها . ان مزارعينا الموجودين في البلاد هم تجار ...» (٤).

وبفضل هذه الروح فضل المستوطن اليهودي وكذلك الاداري اليهودي العامل العربي على العامل اليهودي في حالة وجوده ، لان الاول يمكن استغلاله بشكل أكثر وأبشع ، ولانه يعطي في الوقت نفسه مجهودا أكبر مما يدر على المستوطنين أرباحا ، فتحولت المستوطنات الى نوع من الاقطاعات الجديدة في فلسطين ، تضيف الى الاقطاع التركي المسمى بالالتزام نمطا آخر مختلفا عنه ومتقدما عليه مبنيا بالاساس على استغلال الايدي العاملة العربية . اذن يمكن القول ان المجتمع اليهودي في فلسطين حتى مطلع القرن انحالي وبداية الهجرة الثانية ، كان يتكون من شريحتين أساسيتين (١) شريحة المدن وتتألف بالاساس من البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، وقد خلت المدن التي يوجد بها يهود من العمال اليهود باستثناء القدس . (٢) شريحة الريف وتتشكل بالاساس من البرجوازية الريفية سواء على شكل مستوطن ملاك او اداري بيروقراطي ، ولم تكن هنالك شريحة عمالية تذكر . ويصف موشيه بارسليفسكي في كتابه **تاريخ الحركة العمالية في فلسطين** وضع المستوطنات ابان بداية الهجرة الثانية بقوله : « لقد وجدت الهجرة الثانية اكثر من عشرين مستوطنة جميعها مغطاة بالعمال العرب ، وفي المعدل كان كل مستوطن يعيل ثلاث عائلات عربية، وقد وجد آلاف العمال العرب اذن معيشتهم في المستوطنات ، وكان عدد السكان العرب داخل بعض المستوطنات يفوق عدد السكان اليهود ، وفي الوقت نفسه كان يتدحرج داخلها عدد ضئيل من العمال اليهود ويناضلون للحصول على يوم عمل . هذا هو الواقع» (٥).

« **احتلال العمل** » : تعتبر الهجرة اليهودية الثانية التي تدفقت على فلسطين خلال الربع الاول من القرن الحالي من اخطر الهجرات اليهودية ، ففيها تم تكوين الخلية الاولى للطبقة العاملة اليهودية ، هذه الخلية التي أخذت تتنامى وتتعمز حتى أصبح المجتمع اليهودي قادرا على الاعتماد على ذاته في تكوين الدولة . وقد اصاب موشيه بارسليفسكي حين قال : « ان معركة احتلال العمل كانت أهم معركة في تاريخ الصهيونية ، فهي التي حسمت مصيرها ، وفيها أيضا تعززت قوة الحركة العمالية ،